سلسلة الدراسات الأدبية والنقدية (14)

من قضايا الشكل والمضمون في شعر إدريس جَمّـــاع

تأليف : د. محمد محجوب محمد عبد المجـيد

الطبعة الأولى 2026

من قضايا الشكل والمضمون
في شعر إدريس جماع

تأليف
د. محمد محجوب محمد عبد المجيد

الطبعة الأولى

2026

من قضايا الشكل والمضمون
في شعر إدريس جماع

د. محمد محجوب محمد عبد المجيد

الإيداع القانوني

2026/.....

الناشر:

دار آريثيريا للنشر والتوزيع – الخرطوم – السودان

جوال:

00249122094856-121566207

البريد لإلكتروني:

arithriaforpublishing@gmail.com

تاريخ النشر:

الطبعة الأولى – 2026م

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر والمؤلف

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه كنسخة إلكترونية أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	6
المقدمة	7
المدخل: سيرة جماع	10
قضايا الشكل:	
الفصل الأول: تشكيل اللغة وبناء الأسلوب	14
الفصل الثاني: البنية الإيقاعية	35
الفصل الثالث: الصورة الفنية	59
الفصل الرابع: صدى الماضي والحاضر	77
قضايا المضمون:	
الفصل الخامس: تجلّيات الوطن	91
الخاتمة	101
المصادروالمراجع	103

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾

(البقرة: آية 32)

الإهداء:

إلى بُنَيَّتِي مهتاب:

وجهك ينير عتمة الرّوح

وصوتك يملأ الوجود لحنًا وتغريدًا...

المقدمة

يحظى الشاعر إدريس محمد جماع بمكانة مرموقة في الأدب السوداني في عصره الحديث، ولا غرو في ذلك فقد كان صادقًا وأمينًا، سواء في شعره، أو في موقفه من الآخرين، فالقارئ لديوانه قلَّما يجد معنى مسروقًا، أو بيتًا مسلوخًا، أو قافية مستجلبة، أو إحساسًا مفتعلًا، أو خيالًا ملفَّقًا. كذلك لم ينتجع أحدًا بمديح، ولم يتزلف كبيرًا بثناء وإطراء، وصان لسانه من الهجاء، ونزّه شعره من تصوير قعدة خليعة أو جلسة صاخبة. أحبّ شاعرنا الحياة وأخلص لها، وهتف بجميلها وجليلها، وواسى ضعيفها، وحباها بكل ما لديه، لكنه لم يظفر منها بطائل، إذ لم تبادله إحساسًا بإحساس، أو شعورًا بشعور، بل حطّمت فؤاده، ووأدت أحلامه، وحرمته عقله، حتى قصره الذي بناه في الرمال لم تتركه لينعم به.

والحَقّ أنَّا لا نكون مغالين إذا قلنا إن جماعًا هو أعظم تعويض مَنَّ الله به على السودانيين بعد أن اخترمت المنية الشاعر الكبير التجاني يوسف بشير، فقيمته تتجاوز كونه شاعرًا فذًّا غذَّى وجدان السودانيين، وألهب حماستهم، وبشَّرهم بالفجر الصادق (الاستقلال)قبل أن ينبثق نوره إلى الوجود المعاين إلى داعية للسلام، ومبشر بالحرية، ومتأمل للكون والوجود. ومع أن رؤاه وتصوراته لا تفضي - في آخر الأمر - إلى رؤية فكرية واضحة، أو تصور فلسفي متكامل، أو موقف أيديولوجي صارم، إلا أن شعره يملك شيئًا مهمًّا، يملك الوجدان الصادق، والإحساس العميق، والمشاعر الرقيقة، وهذا - في تقديرنا - كافٍ لنيل الإعجاب والتقدير.

كان أول عهد لي بالشاعر الكبير إدريس محمد جماع عندما كنت حدثًا صغير السن، وكان أول صوت أسمعته قوله:

هُنَا صَوْتٌ يُنَادِينِي تَقَدَّمْ أنْتَ سُودَانِي

والحق أنه كان يبعث في النفس عِزَّةً، وفي الروح حماسةً، وفي الذات كبرياء. وقتها كانت بلادي كبيرةً، عظيمةً، مُؤثِّرةً. وتمرّ بي الأيام والأعوام حتى صرت كبير السن، أبيض الشعر، ضعيف البصر، في مقابل ذلك استحالت بلادي صغيرةً، ضعيفةً، يعتامها الموت والفقر والمسغبة. لكن مع ذلك ظل صوت جماع ونشيده يبعث في نفسي تلك الحماسة القديمة التي آمل أن تنتقل عدواها للآخرين.

ظل شعر جماع أثيرا عندي لما ألفيته فيه من إنسانية فذة، وعاطفة صادقة، وروح شفوف تحلق في السماوات العلا دون رغبة في مس الأرض، فضلًا على سهولة ألفاظه ورقتها، وعمق معانيه ودقتها، وبُعْد غوره، وكثرة نفائسه. وحقا أني قد استجبت لما أحسه تجاه جماع فكتبتُ دراسة عن المحتوى والشكل في شعره، وحاولت جاهدا إخراجها في كتاب، لكن - وللأسف الشديد- لم يتحقق هذا الحلم بسبب صعوبة نشر الكتب -وقتئذ- وارتفاع تكاليف الطباعة. فاضطررت في آخر المطاف إلى تجزئتها، ونشر بعضها في هيئة

بحوث علمية على أمل أن يأتي يوم أجمع شتيتها في سفر واحد. ما لبثت أن انصرفت بعد ذلك عن جماع، وعن عالمه الجميل، لأسباب، أبرزها، اغترابي عن وطني بحثًا عن لقمة العيش، وأملًا في حياة كريمة لي ولأسرتي، وانشغالي بالأدب الأندلسي -مجال تخصصي- واستفراغ معظم جهدي فيه.

وبعد سنوات عديدة انعتقت من إساري، ونفضت عن نفسي ما علق عليها من غبار الحياة، ومزقت الحجب الصفيقة التي كانت تحول بيني وبين ما أحب. عدت إلى جماع وأنا أكثر حماسةً، وأنشط همّةً، وأقوى عزمًا، لكن وللأسف الشديد -وما أكثر ما تأسفنا في هذا الكتاب - لم أجد بحثي الكامل عن جماع فقد سُرق جهاز الحاسوب الذي كان يحتضنه مثلما سرقت محتويات بيتي إبان الحرب التي مازالت تعصف ببلادي، مما اضطرني في آخر المطاف إلى جمع ما نشرته من قبل، وإخراجه في كتاب واحد. وبذلك أكون قد حققت بعض حلم لطالما داعب مخيلتي وأملت تحقيقه.

يقوم هذا الكتاب على خمسة فصول حاولت من خلالها الوقوف عند بعض قضايا الشكل والمضمون في شعر إدريس محمد جماع، ففي الفصل الأول درست تشكيل اللغة وبناء الأسلوب في شعره، والحق أن أهمية هذا البحث تنبع من كونه يدرس جانبا مهمًّا وأصيلًا في شعر جماع، وهو دور اللغة والأسلوب في تشكيل رؤياه، وتصوير إحساسه، ورسم مشاعره، فباللغة يتفاضل الشعراء، وباللغة يغدو الشعر عظيما ومؤثرا. ولتحقيق هذه الغاية طرحت مجموعة من الأسئلة المهمة، أبرزها، ما الأدوات اللغوية والتقنيات الأسلوبية التي عمد إليها جماع في تبليغ خطابه الشعري، وهل تأثر بلغة عصره وما طرأ عليها من تجديد، وهل كان معجمه الشعري دالا على البؤر التي يتمركز حولها شعره.

وفي الفصل الثاني نهضت بدراسة البنية الإيقاعية في شعر جمّاع محاولا التعرف على كيفية التعامل معها، ومدى الالتزام الصارم بالأوزان والقوافي، أو محاولة اختراقهما. وهل جارى شعراء العصر الحديث في التجديد الموسيقي، كأن يناوح بين الأوزان، أو يعيد إنتاج الأنماط القديمة كالموشحات والرباعيات، وكيف وظَّف الموسيقى الداخلية في إكمال الإيقاع، وتبليغ المعنى.

أما في الفصل الثالث فتوقفت عند الصورة الفنية، أنواعها، أدواتها، خصائصها، ولعل أهميتها تكمن في توضيحها لما يجول في خاطر الشاعر، أو يتمركز في شعوره، كما أننا نستطيع من خلالها أن نختبر خيال الشاعر، سعةً وضيقًا، قدرةً على التحليق أو ارتباطا بالواقع، ونتعرف على رؤيته للأشياء؛ عمقا وسطحا. فالصورة-إذا- ليست وسيلة ممتازة للكشف عن رؤى الشاعر فحسب، بل أداة للحكم عليه.

أما الفصل الرابع فعقدته لدراسة صدى الماضي والحاضر في شعر جماع، وقصدنا به معرفة تأثر جماع بالشعراء، قدماء(الماضي) ومعاصرين(الحاضر)، ومدى نفعه وإفادته منهما. وهل كان استلهامه عن وعي

ودراية بهما، أم كان لا يعدو محاكاة وتقليدًا "استعارة بيت - سلخ معنى - تلفيق صورة". ولتحقيق هذه الغاية اخترنا شاعرين-كنموذج للتأثير- هما، أبو تمام وأبو القاسم الشابي.

وفي الفصل الأخير توقفت عند قضية محورية في شعره جماع، وهي، تجليات الوطن أو وطنياته، وفيه ينبئ عن حب صادق لوطنه وتغنيه بأمجاده التي ترتد إلى زمن قديم؛ زمن أجداده ملوك العبدلاب، أو جده الشيخ عجيب المانجلك. ونتعجب من جماع الشاعر الرقيق كيف استحال ثائرًا، فإلى جوار مناداته بحرية الوطن ينادي بتعليم المرأة؛ لأنه يؤمن بأن نهضة السودان لا تصنعها سواعد الرجال الفتية وحدها.

وقبل أن أغادر هذه المقدمة لا بدّ لي أن أشكر أخي وصديقي العزيز الفنان التشكيلي الكبير الأستاذ ياسر أبو الحرم فقد صمم غلافا لهذا الكتاب قبل عقدين من الزمان لكنه ضاع كغيره مما ضاع، وها هو اليوم - مرة أخرى- يمدّ لي يده الكريمة بغلاف آخر، فله عظيم الشكر وأجزله.

ختاما آمل أن أكون قد وفقت فيما نهضت به من عمل، فالتوفيق من الله وحده، والتقصير من نفسي. فالحمد لله الذي جعل الكمال له، والعصمة لأنبيائه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

حائل- السعودية

فبراير 2026م